روح وحياة
كاتدرائية الأنبا أنطونيوس - أبوظبي

إنجيل يوحنا

الاصحاح السابع: في عِيد ٱلْمَظَالّ

حديث المسيح عن نفسه وعن الروح القدس

مقدمة عن الأصحاح السابع من إنجيل يوحنا

- يقدّم هذا الإصحاح مشهدًا محوريًا في حياة الرب يسوع خلال عيد المظال، حيث تتصاعد المواجهة بينه وبين القادة الدينيين.
- يبرز فيه الجدل حول هويته الإلهية، وتظهر ردود أفعال متنوعة من الشعب: بين الإيمان، الشك، والرفض.
- نرى أيضًا بدايات الانقسام العلني بين اليهود بخصوص شخصه، مع تأكيد يوحنا على التوقيت الإلهي لحياة المسيح ("لم تأتِ ساعته بعد").
- كما يقدّم الإصحاح إعلانًا لاهوتيًا جوهريًا عن عطية الروح القدس، المرتبطة بالإيمان بالمسيح، ويتقاطع مع رموز طقسية عميقة من العهد القديم تُستعلن في شخص السيد المسيح.

موضوعات الاصحاح السابع من إنجيل يوحنا

(1) المكوث في الجليل (يو7: 1 - 9)

(2) صعود المسيح لأورشليم وحديثه في الهيكل (يو7: 10 - 24)

(3) تحير اليهود من كلام المسيح (يو7: 25 – 36)

(4) المسيح ينبئ بصعوده وفاعلية الروح القدس (يو7: 37 – 43)

(5) رؤساء اليهود يرفضون المسيح (يو7: 44 – 53)

أولاً: المكوث في الجليل
(يو7: 1 - 9)

(1) يسوع في الجليل باقتراب عِيدُ ٱلْمَظَالِّ (عدم ظهوره علانية في اليهودية)

1 وَكَانَ يَسُوعُ يَتَرَدَّدُ بَعْدَ هذَا فِي الْجَلِيلِ، لأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَتَرَدَّدَ فِي الْيَهُودِيَّةِ لأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ.

- بعد معجزة إشباع الجموع وحديث المسيح العميق عن "جسده ودمه"، بقي يسوع في منطقة الجليل، متجنبًا التوجه إلى اليهودية بسبب اشتداد معارضة اليهود هناك وتهديدهم بقتله، لأنه خرق السبت (يوحنا 7:1).
- هذا الابتعاد لم يكن بدافع الخوف، بل ثمرة لحكمة إلهية، إذ كان يسوع يعلم أن "ساعته لم تأتِ بعد" (يو7: 6).
- يعلّق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذا الموقف مشيرًا إلى أن تجنب المخاطر في وقتها هو تعبير عن الحكمة والرؤية الثاقبة، فليس كل مواجهة ضرورية أو مطلوبة.
- على الرغم من رفضه في الجليل، فإن رفضه في اليهودية كان أشد وأعنف، ما يكشف تناقضًا مأساويًا: المسيح يأتي ليمنح الحياة، فيما هم يتآمرون على قتله.

2 وَكَانَ عِيدُ الْيَهُودِ، عِيدُ الْمَظَالِّ، قَرِيبًا.

- عيد المظال هو أحد الأعياد اليهودية الثلاثة الكبرى، ويُقام في أورشليم لمدة ثمانية أيام في شهر تشرين (سبتمبر/أكتوبر)، ويسمى بموسم الحصاد، إذ يجمع بين الطابعين الروحي والاحتفالي، وكان يحمل في معانيه رموزًا عميقة:

✓ تذكار الغربة: حيث يسكن اليهود في مظال من أغصان الشجر تذكارًا لغربتهم في برية سيناء مدة أربعين عامًا، وهو يرمز روحيًا إلى غربة الإنسان في هذا العالم وترقبه للميراث الأبدي.

✓ الشكر والفرح: يقدَّم خلاله الشكر لله على بركات الحصاد، وخاصة العنب، في جو من الفرح والترنيم والاحتفالات الجماعية.

- تضمّنت طقوس العيد:
  - ✓ سكب الماء من بركة سلوام على المذبح، تذكارًا للماء الذي خرج من الصخرة في البرية،
  - ✓ إضاءة المنارات الذهبية الضخمة في ساحة الهيكل تذكارًا لعمود النار الذي كان يهدي بني إسرائيل في رحلتهم (خر13: 21).
- استخدم المسيح هذه الرموز ليعلن عن ذاته بوضوح: "إن عطش أحد، فليُقبل إليّ ويشرب... من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حيّ" (يو7: 37 - 38)، في إشارة إلى الروح القدس (يو7: 39). كما أعلن أيضًا: "أنا هو نور العالم" (يو8: 12)، في توازٍ مع رمز عمود النور.
- رغم كثرة الذبائح التي كانت تُقدَّم في هذا العيد، فقد وجّه المسيح أنظار السامعين إلى نفسه باعتباره الذبيحة الحقيقية، متسائلًا: "أليس موسى قد أعطاكم الناموس، وليس أحد منكم يعمل بالناموس؟ لماذا تطلبون أن تقتلوني؟" (يو7: 19).
- يُسمي القديس يوحنا هذا العيد بـ"عيد اليهود" (يو7: 2)، تعبيرًا يحمل بُعدًا لاهوتيًا، إذ أن رفضهم للمسيح جعلهم يفقدون شركتهم الحقيقية مع الله، فلم يعد العيد يُحتفل به لله، بل صار شكليًا، خاليًا من جوهره الروحي.

(2) عدم إيمان إخوة يسوع ومقاومتهم له

3 فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: «انْتَقِلْ مِنْ هُنَا وَاذْهَبْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، لِكَيْ يَرَى تَلاَمِيذُكَ أَيْضًا أَعْمَالَكَ الَّتِي تَعْمَلُ،

4 لأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَعْمَلُ شَيْئًا فِي الْخَفَاءِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ عَلاَنِيَةً. إِنْ كُنْتَ تَعْمَلُ هذِهِ الأَشْيَاءَ فَأَظْهِرْ نَفْسَكَ لِلْعَالَمِ».

5 لأَنَّ إِخْوَتَهُ أَيْضًا لَمْ يَكُونُوا يُؤْمِنُونَ بِهِ.

- "إخوته": المقصود هنا أقرباء الرب يسوع بحسب الجسد، مثل يعقوب، يوسي، سمعان، ويهوذا (مت13: 55).
- هم ليسوا أبناء السيدة العذراء مريم، بل يُفهم أنهم أقرباء له، إما من أبناء خالة أو عمومة.
- وفي ثقافة بلاد الشام القديمة، كان يُستخدم لفظ "إخوة" للدلالة على الأقرباء عمومًا، كما نرى في الحديث عن إبراهيم ولوط، حيث يقول إبراهيم: "لاَ تَكُنْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ،... لأَنَّنَا نَحْنُ أَخَوَانِ." (تك13: 8)، رغم أن لوط كان ابن أخيه.

نصيحتهم للمسيح

- اقترح "إخوته" عليه أن يصعد إلى أورشليم أثناء عيد المظال، حيث تتجمع الجموع الغفيرة، ليصنع معجزاته علنًا بدلًا من البقاء في قرى الجليل النائية.
- طلبهم هذا حمل ظاهريًا طابعًا عمليًا، لكنه كان يكشف عن فَهْم مادي ومشوّه لرسالته.

لَمْ يَكُونُوا يُؤْمِنُونَ بِهِ..

- يكشف القديس يوحنا الإنجيلي بوضوح أن هؤلاء الأقرباء "لم يكونوا يؤمنون به" (يو7: 5)، أي لم يعرفوه بعد كمسيح الله المنتظر، بل ربما ظنّوه نبيًا أو قائدًا أرضيًا ذا طموحات بشرية.
- دوافعهم كانت غير نقية، مشوبة بالحسد أو الشك أو حتى سوء الفهم لطبيعة عمله الإلهي. وربما كانت نيتهم:
  - ✓ أن يُمتحَن من قِبل رؤساء الكهنة والفرّيسيين في أورشليم، فينكشف "زيف" أعماله – من وجهة نظرهم – فيُبرّر عدم إيمانهم به.
  - ✓ أو أن يُظهر نفسه فينجح، فيشاركونه المجد.
  - ✓ أو حتى أن يتعرض للخطر من اليهود الذين كانوا يسعون لقتله، فيتخلصوا منه.
- حديثهم حمل نبرة تعيير وسخرية، كما لو أنهم يتهمونه بالجبن لتجنبه الظهور العلني في أورشليم، أو بطلب المجد الذاتي بشكل خفي، بينما هم يطالبونه بإثبات ذاته علنًا. غير أن المسيح، العارف بموعد الآب وتدبيره، رفض الانصياع لهذا الطرح البشري، مؤكدًا أن "زمانه" لم يحن بعد (يو7: 6 - 8).

(3) رد يسوع

6 فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «إِنَّ وَقْتِي لَمْ يَحْضُرْ بَعْدُ، وَأَمَّا وَقْتُكُمْ فَفِي كُلِّ حِينٍ حَاضِرٌ.

- يُوضح المسيح أن "وقته"، أي ساعة الصليب والفداء، لم تحن بعد، وفق خطة إلهية دقيقة يسير بها مع الآب.
- فالصعود العلني إلى أورشليم في ذلك التوقيت قد يُثير حسد القادة الدينيين ويدفعهم إلى محاولة قتله قبل الموعد المعين من الله (يو7: 10، 14).
- أما "إخوته"، فبإمكانهم الذهاب إلى العيد متى شاءوا، لأنهم لا يسيرون حسب خطة إلهية، بل بحسب فكر العالم، الذي لا يعارضهم، لأنهم يسعون وراء المجد البشري والشهرة، بينما المسيح يوجّه وجهه نحو الصليب، حيث يتم الخلاص.
- القديس كيرلس الكبير يعلّق قائلًا إن المسيح كان يتحرك بحسب مشيئة الآب وتدبيره، لا بحسب اندفاع بشري، أما إخوته فكانوا يسلكون بلا تمييز أو التزام، فكل الأوقات كانت بالنسبة لهم متاحة، لأنهم لا يسيرون ضمن قصد إلهي محدد.
- القديس أغسطينوس، يُبرز المعنى الأعمق لقول المسيح، موضحًا أن "وقته" هو وقت المجد الحقيقي، لكنه مجد التواضع، الذي يتحقق عبر آلام الصليب، لا المجد الزمني الظاهري الذي كان "إخوته" يتطلعون إليه.

7 لاَ يَقْدِرُ الْعَالَمُ أَنْ يُبْغِضَكُمْ، وَلكِنَّهُ يُبْغِضُنِي أَنَا، لأَنِّي أَشْهَدُ عَلَيْهِ أَنَّ أَعْمَالَهُ شِرِّيرَةٌ.

- يكشف المسيح عن السبب الجوهري لبُغض العالم له – ويقصد هنا اليهود وقادتهم – وهو أنه يوبخهم على خطاياهم ويفضح شر أعمالهم (يو7: 7).
- فالعالم، الذي أحب الظلمة أكثر من النور، يرفض النور لأنه يُظهر فساد القلب والسلوك (يو3: 19 - 20).
- أما "إخوته"، بأفكارهم المتماشية مع المنطق البشري وقيم المجد الزمني، فلا يواجهون هذا الرفض أو العداء، لأنهم لا يصطدمون مع روح العالم، بل يسيرون في توافق معه.
- هنا يتضح التناقض المؤلم: بدلًا من أن يقودهم توبيخ المسيح إلى التوبة والرجوع إلى الله، يسعى اليهود إلى التخلص منه وقتله، إذ يرفضون صوت الحق الذي يفضحهم.
- القديس كيرلس الكبير يُعلّق بأن العقل الذي غرق في لذّات الجسد وشهواته لا يحتمل النصح، بل يُقابله بالغضب والمقاومة.
- القديس أغسطينوس يُشير إلى أن العالم لا يبغض "إخوته" لأنهم يتماهون مع قيمه الفاسدة، لكنّه يبغض المسيح لأنه يُدين الخطية ويواجه الظلم بالحق، فيُصبح هدفًا للرفض والاضطهاد.

8 اِصْعَدُوا أَنْتُمْ إِلَى هذَا الْعِيدِ. أَنَا لَسْتُ أَصْعَدُ بَعْدُ إِلَى هذَا الْعِيدِ، لأَنَّ وَقْتِي لَمْ يُكْمَلْ بَعْدُ».

9 قَالَ لَهُمْ هذَا وَمَكَثَ فِي الْجَلِيلِ.

- طلب المسيح من "إخوته" أن يصعدوا إلى العيد كما يشاؤون، لكنه رفض أن يصعد معهم في تلك اللحظة، مؤكدًا أن "وقته لم يُكمل بعد".
- لم يقل إنه لن يصعد إطلاقًا، بل قال: "لَسْتُ أَصْعَدُ بَعْدُ إِلَى هذَا الْعِيد"، مشيرًا إلى أنه سيصعد لاحقًا، ولكن لا كما يتصورون، بل في الخفاء، بعيدًا عن أي استعراض أو طلب لمجد بشري (يو7: 10).
- صعوده لم يكن ليلفت الأنظار، بل ليُتمم رسالته الإلهية في توقيت دقيق يحدده الآب.
- بحسب ما ورد، مكث يسوع في الجليل نحو أربعة أيام تقريبًا، ثم صعد إلى أورشليم في منتصف العيد (يو7: 14)، متجنبًا الظهور العلني في بدايته حتى لا يُثير اليهود الذين كانوا يتحيّنون الفرصة للقبض عليه.

- من اللافت أن صعوده كان عبر طريق غير مباشر، مرورًا ببيرية، ثم تخوم اليهودية، فبيت عنيا، وأخيرًا إلى أورشليم، وكأن هذا المسار يشير إلى أن طريقه ليس طريق المجد الأرضي، بل طريق الصليب والفداء.
- القديس يوحنا ذهبي الفم يُعلّق على هذا الحدث مؤكدًا أن المسيح لم يحتج إلى "إخوته" أو إلى مرافقتهم، بل أعطاهم حرية الذهاب والاحتفال حسب رغبتهم، معلنًا استقلاله الكامل عن طريقتهم وفكرهم.
- القديس كيرلس السكندري يرى في مكوث المسيح في الجليل دلالة رمزية على محبته للأمم، إذ أن الجليل – الذي كان يُنظر إليه كمكان مختلط ومحتقر – صار رمزًا لكنيسة الأمم، عروسه الجديدة، بينما رفضه الصعود إلى اليهودية مباشرة يُشير إلى رفضه لليهود الذين قاوموه ورفضوه.

تطبيقات

- **التروي قبل اتخاذ القرارات**

قبل الإقدام على قرار مهم – مثل الانتقال، مشروع جديد، أو مواجهة:

- ✓ توقف واسأل نفسك: هل هو الوقت المناسب في نظر الله، أم في نظري فقط؟
- ✓ خصص وقت يومي للصلاة والتأمل قبل اتخاذ قرارات رئيسية.
- ✓ سجل مواقف طبّقت فيها الانتظار، وقارن النتائج مع قرارات اتخذتها بسرعة في الماضي.

- **رفض السعي وراء المجد البشري**

- ✓ راجع دوافعك في العمل والخدمة: هل أبتغي أن يُعرف اسمي، أم أن يتمجد اسم الله فقط؟
- ✓ مارس عمل صالح واحد أسبوعيًا دون إخبار أحد به.
- ✓ راقب مشاعرك إن لم تُمدَح أو يُعترف بجهدك – هل تغضب، أم تفرح بأن الله وحده يرى؟

- **قبول التوبيخ كفرصة للنمو**

- ✓ عندما تتلقى نقدًا، استمع لتتعلم، بدل أن ترفضه لتتجنب الألم.
- ✓ اكتب موقف واحد أسبوعيًا تلقيت فيه توبيخًا، وحدد ما تعلّمته منه.
- ✓ اطلب تقييم دوري من شخص تثق به (أب اعترافك أو مرشدك الروحي) عن مجالات تحتاج فيها للنمو.

ثانيًا: صعود المسيح لأورشليم وحديثه في الهيكل (يو7: 10 - 24)

(1) صعود يسوع إلى أورشليم بينما دار الجدل حوله سراً

10 وَلَمَّا كَانَ إِخْوَتُهُ قَدْ صَعِدُوا، حِينَئِذٍ صَعِدَ هُوَ أَيْضًا إِلَى الْعِيدِ، لاَ ظَاهِرًا بَلْ كَأَنَّهُ فِي الْخَفَاءِ.

- صعد المسيح إلى عيد المظال في الخفاء، لا في موكب علني، متجنبًا إثارة الجموع التي قد تنادي به ملكًا، لأن ساعة الصليب لم تكن قد حانت بعد.
- سلك طريقًا غير مباشر عبر بيرية، تخوم اليهودية، ثم بيت عنيا (مت 19: 1؛ مر10: 1؛ لو10: 38-39)، ودخل أورشليم في منتصف العيد (يو7: 14)، مؤكدًا أن هدفه هو إتمام الخلاص، لا طلب المجد الزمني.
- تصرفه يكشف حكمته الإلهية، ورفضه للاندفاع البشري نحو الشهرة.
- يؤكد القديس أغسطينوس أن المسيح لم يناقض قوله "لست أصعد بعد"، بل أجّل الصعود ليؤكد أنه لا يسعى للظهور.
- القديس يوحنا ذهبي الفم يُشير إلى أن صعوده في الخفاء يعلّمنا التدبير والحكمة وتجنّب الاستعراض.

11 فَكَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَهُ فِي الْعِيدِ، وَيَقُولُونَ: «أَيْنَ ذَاكَ؟»

- تشير عبارة "اليهود" هنا إلى القادة الدينيين (رؤساء الكهنة، الكتبة، الفريسيين)، لا إلى الشعب بأكمله.
- كان هؤلاء القادة يترقبون المسيح مع بداية العيد، لا بدافع الإيمان أو التوق لمعجزاته، بل بدافع الحقد والتربص.
- قولهم: "أَيْنَ ذَاكَ؟" يعكس احتقارًا وعداءً واضحًا، وتجنّبًا لذكر اسمه، مما يكشف نواياهم الشريرة.
- هذا يؤكد حكمة المسيح في صعوده بالخفاء، متجنبًا الاصطدام المبكر بهم قبل موعد الصليب.
- يذكر القديس يوحنا ذهبي الفم أن اليهود لم يذكروا اسمه صراحةً من شدة بغضهم، بل قالوا "ذاك" ازدراءً له.
- يُعلق القديس كيرلس السكندري على أن كلمة "ذاك" تُظهر رفضهم لاعترافهم به كالمسيّا الحقيقي، وتُعبّر عن كبرياء قلوبهم.

12 وَكَانَ فِي الْجُمُوعِ مُنَاجَاةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ نَحْوِهِ. بَعْضُهُمْ يَقُولُونَ: «إِنَّهُ صَالِحٌ». وَآخَرُونَ يَقُولُونَ: «لاَ، بَلْ يُضِلُّ الشَّعْبَ».

- استخدم النص كلمة "مُناجاة" - باليونانية: γογγυσμός - بمعنى تذمر أو لغط داخلي، ما يشير إلى حالة الانقسام والارتباك وسط الجموع في رأيهم حول المسيح.
- البعض قال: "إنه صالح"، أي مستقيم ونقي الأخلاق، لكنهم لم يعترفوا به بعد كمسيّا، بل رأوه مجرد إنسان فاضل.
- آخرون، تحت تأثير القادة الدينيين، اتهموه بأنه "يُضل الشعب"، أي يخدعهم بمعجزاته وتعاليمه.
- هذا الانقسام يُظهر تأثير الحسد والرفض الديني من قبل السلطات، الذي امتد إلى بعض العامة.
- القديس يوحنا ذهبي الفم أشار إلى أن رأي "يضل الشعب" جاء من الكتبة والفريسيين بدافع الحسد، بينما الشعب البسيط كان يميل لرؤيته إنسانًا صالحًا.
- القديس أغسطينوس رأى في هذا الانقسام رمزًا لفصل التبن عن الحنطة، مؤكدًا أن تمييز الأبرار عن الأشرار سيتم بوضوح في يوم الدينونة (مز50: 3).
- القديس كيرلس السكندري اعتبر اتهام المسيح بأنه يُضل سخافة، لأن من يرشد إلى البر لا يمكن أن يكون مضلًا.

13 وَلكِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ عَنْهُ جِهَارًا لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ.

- ساد جو من الترهيب في أورشليم، حيث لم يجرؤ أحد على إعلان تأييده للمسيح علنًا، خاصة من قال عنه "إنه صالح".
- الأحاديث حول شخصه كانت خافتة وسرّية، تدور في مجموعات صغيرة، لأن التصريح بالإيمان به كان يُعتبر تمردًا دينيًا، وقد يؤدي إلى الطرد من المجمع (يو9: 22).
- هذا الصمت يعكس الهيمنة القاسية للقادة الدينيين (الفريسيين والكهنة)، الذين شوّهوا صورة المسيح وحاربوا كل من يقبله.
- القديس أغسطينوس أشار إلى أن الذين قالوا عن المسيح "صالح" همسوا خوفًا من السلطة، بينما الجاحدون المجدفون تحدثوا بجرأة. لكنه يضيف أن الكنيسة الآن تُعلن صلاح المسيح علنًا وبقوة.
- القديس كيرلس السكندري يرى في هذا الخوف علامة عبودية الشعب للقادة الفاسدين، الذين ضللوا الجموع وجعلوهم يدينون البار ظلمًا.

(2) القادة اليهود يحتجون لأن يسوع ليس متعلماً

14 وَلَمَّا كَانَ الْعِيدُ قَدِ انْتَصَفَ، صَعِدَ يَسُوعُ
إِلَى الْهَيْكَلِ، وَكَانَ يُعَلِّمُ.
15 فَتَعَجَّبَ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: «كَيْفَ هذَا يَعْرِفُ
الْكُتُبَ، وَهُوَ لَمْ يَتَعَلَّمْ؟»
16 أَجَابَهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ: «تَعْلِيمِي لَيْسَ لِي
بَلْ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي.
17 إِنْ شَاءَ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ مَشِيئَتَهُ يَعْرِفُ
التَّعْلِيمَ، هَلْ هُوَ مِنَ اللهِ، أَمْ أَتَكَلَّمُ أَنَا مِنْ
نَفْسِي.
18 مَنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ يَطْلُبُ مَجْدَ نَفْسِهِ،
وَأَمَّا مَنْ يَطْلُبُ مَجْدَ الَّذِي أَرْسَلَهُ فَهُوَ صَادِقٌ
وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمٌ.

- في منتصف عيد المظال، صعد يسوع إلى الهيكل في الخفاء وبدأ يعلّم الجموع، في مفاجأة أذهلت القادة الدينيين الذين لم يتوقعوا جرأته:
- مضمون التعليم: استخدم المسيح أسفار العهد القديم، شرحها بسلطان، وضرب الأمثال.
- تعجّب القادة: "كيف يعرف هذا الكتب وهو لم يتعلم؟" لأنه لم يتتلمذ على يد معلم بشري كما كان متبعًا.
- أجابهم: "تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني"، مؤكدًا أن تعليمه من الآب.

- **معايير صدق تعليمه:**
  - ✓ **الخضوع لمشيئة الله هو ما يكشف حقيقة التعليم الإلهي.**
  - ✓ **طلب مجد الآب لا الذات يثبت صدقه، عكس الأنبياء الكذبة.**

  التواضع والحق يسيران معًا.
- **القديس أغسطينوس يوضح أن المسيح، بكونه كلمة الآب ونور من نور، يعلّم باتحاد كامل مع الآب، ويدعو المؤمنين للاقتداء بتواضعه وترك مجد الذات.**
- **القديس يوحنا ذهبي الفم يرى أن تعجب اليهود نابع من الحسد، وقد دعاهم المسيح لإزاحته كي يدركوا مصدر تعليمه الإلهي.**
- **القديس أمبروسيوس يؤكد أن تعليم المسيح يسمو على البلاغة البشرية لأنه ينبع من طبيعته الإلهية واتحاده بالآب.**
- **القديس كيرلس السكندري يشرح أن المسيح، كحكمة الله، لا يحتاج إلى تعليم بشري، ومن يخضع لمشيئة الله يستطيع أن يتعرف على صدق تعليمه.**

(4) دعوة يسوع للتمييز بين الظاهر والحق

19 أَلَيْسَ مُوسَى قَدْ أَعْطَاكُمُ النَّامُوسَ؟ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَعْمَلُ النَّامُوسَ! لِمَاذَا تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي؟»

- في هذا المشهد، يدخل المسيح الهيكل ويواجه القادة الدينيين (الفريسيين والكتبة) مواجهة علنية، كاشفًا رياءهم وتناقضهم. يبدأ بسؤال استنكاري: "أليس موسى قد أعطاكم الناموس؟"، مبرزًا أنهم، رغم ادعائهم الغيرة على الناموس، لا يعملون به فعليًا. فلو كانوا خاضعين لروح الناموس، لأدركوا أن تعليمه من الآب (يو 7: 17)، ولما خططوا لقتله، وهو ما يخالف وصية الناموس: "لا تقتل" (خر 20: 13).

20 أَجَابَ الْجَمْعُ وَقَالُوا: «بِكَ شَيْطَانٌ. مَنْ يَطْلُبُ أَنْ يَقْتُلَكَ؟»

- المسيح، بعلمه الإلهي أو بملاحظته لتعبيراتهم، فضح نواياهم القاتلة، مما أربكهم وأثار دفاعهم. عندها تدخل الجمع، المتأثر بالقادة، وأنكر وجود أي نية للقتل، بل اتهموه بأنه "به شيطان"، أي أنه مجنون، مضيفين إلى ريائهم خطيئة التجديف على الله.

- هذا الرد يكشف قساوة قلوبهم وعمى بصيرتهم، إذ رفضوا الاعتراف بالحق رغم وضوحه، وتجاهلوا معجزاته وتعليمه الفائق (يو 7: 15).
- يعلّق القديس أغسطينوس أن نور الحق الذي أعلنه المسيح أزعجهم، فكشف ظلمة نفوسهم، ففضلوا اتهامه بالجنون على أن يواجهوا فسادهم ويتوبوا.
- القديس يوحنا ذهبي الفم يشير إلى أن اليهود لم يصغوا إلى كلمات المسيح بصدق، بل ادعوا حفظ الناموس وهم يمارسون الشر في الخفاء، ما يؤكد ازدواجيتهم ونفاقهم.

21 أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ:
«عَمَلًا وَاحِدًا عَمِلْتُ
فَتَتَعَجَّبُونَ جَمِيعًا.

22 لِهذَا أَعْطَاكُمْ مُوسَى
الْخِتَانَ، لَيْسَ أَنَّهُ مِنْ مُوسَى،
بَلْ مِنَ الآبَاءِ. فَفِي السَّبْتِ
تَخْتِنُونَ الإِنْسَانَ.

23 فَإِنْ كَانَ الإِنْسَانُ يَقْبَلُ
الْخِتَانَ فِي السَّبْتِ، لِئَلاَّ
يُنْقَضَ نَامُوسُ مُوسَى،
أَفَتَسْخَطُونَ عَلَيَّ لأَنِّي شَفَيْتُ
إِنْسَانًا كُلَّهُ فِي السَّبْتِ؟

24 لاَ تَحْكُمُوا حَسَبَ الظَّاهِرِ
بَلِ احْكُمُوا حُكْمًا عَادِلًا».

- يحيل المسيح الحديث إلى معجزة شفاء مريض بيت حسدا في يوم السبت (يو 5)، وهي المعجزة التي أثارت حفيظة اليهود، لاعتقادهم بأنها تمثل خرقًا للناموس.
- للرد على هذا الاتهام، يقدم المسيح منطقًا كاشفًا لتناقضهم: فهم يسمحون بإجراء الختان في اليوم الثامن، حتى إن صادف يوم سبت، رغم أنه فعل يتضمن جرحًا للجسد.
- إذا كان هذا العمل المؤلم، الذي يعالج جزءًا صغيرًا من الجسد، مقبولًا في السبت، فكيف يرفضون شفاء إنسان كامل في نفس اليوم؟ يوضح المسيح أن الشفاء ليس فقط لا يتعارض مع روح السبت، بل يكمّلها، لأنه يعكس محبة الله وإرادته في خلاص الإنسان واستعادته من آثار الخطية (خر 15: 26).
- من هنا يوجه دعوتَه العادلة: "لا تحكموا حسب الظاهر، بل احكموا حكمًا عادلًا"، منتقدًا تمسكهم الحرفي بالناموس على حساب مقاصده الإلهية.

- يُبرز القديس كيرلس السكندري هذا التناقض بوضوح، معتبرًا أن السماح بالختان المؤلم في السبت دليل على أن ما يخدم خلاص الإنسان يجب أن يُقدَّم، فكيف يُدان الشفاء الكامل؟
- القديس أغسطينوس يرى أن الختان الجسدي ما هو إلا رمز لختان القلب ونزع الشهوات، وهو ما يحققه المسيح بقيامته، مانحًا شفاءً روحيًا كاملًا.
- يؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم أن شفاء المسيح، بكونه عملًا منسجمًا مع إرادة الآب، يفوق الختان في القيمة والمعنى، فكيف يُرفض بينما يُقبل ما هو أدنى منه؟

تطبيقات

- **مراجعة الدوافع في الخدمة أو الحديث الروحي**
  - ✓ بعد كل خدمة أو مشاركة روحية، قيّم ذاتك بصدق: هل سعيت لإبراز نفسك أم تمجيد الله؟
  - ✓ سجل ملاحظاتك بعد كل مناسبة، ثم راجعها بعد شهر: هل تتزايد مرات التركيز على تمجيد الله أكثر من الذات؟
- **التحرر من ضغط رأي الأغلبية**
  - ✓ كن صادقًا في إعلان قناعاتك الروحية دون أن ترضخ للخوف من رأي الآخرين.
  - ✓ في 3 مواقف اجتماعية، عبّر عن رأيك – كمسيحي - بمحبة، وسجّل كيف تغيّر تفاعلك مع المجموعة بعد ذلك.
- **التمييز العادل وعدم الحكم بحسب الظاهر**
  - ✓ التزم خلال أسبوع بعدم اتخاذ موقف أو إطلاق حكم على شخص أو موقف قبل أن تسمع القصة كاملة أو تتحقق من الدوافع.
  - ✓ في نهاية الأسبوع، دوّن عدد المرات التي غيّرت فيها حكمك الأولي بعد التحقق، هل زاد وعيك بالعدل الداخلي؟

ثالثًا: تحير اليهود من كلام المسيح
(يو7: 25 – 36)

(1) يسوع يواجه التشكيك في أصله ويؤكد إرساليته الإلهية

25 فَقَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ أُورُشَلِيمَ: «أَلَيْسَ هذَا هُوَ الَّذِي يَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ؟

26 وَهَا هُوَ يَتَكَلَّمُ جِهَارًا وَلاَ يَقُولُونَ لَهُ شَيْئًا! أَلَعَلَّ الرُّؤَسَاءَ عَرَفُوا يَقِينًا أَنَّ هذَا هُوَ الْمَسِيحُ حَقًّا؟

27 وَلكِنَّ هذَا نَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُوَ، وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَمَتَى جَاءَ لاَ يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ هُوَ».

- في هذا المشهد من يوحنا 7، ينقل الإنجيلي دهشة أهل أورشليم (أي السكان المحليين، لا الحجاج القادمين للعيد) من موقف القادة الدينيين تجاه المسيح. هؤلاء كانوا على علم بنية الرؤساء (الكهنة والفريسيين) قتله، بخلاف الجموع القادمة من الخارج، التي أنكرت ذلك (يو 7: 20).
- لكن ما أربكهم هو أن المسيح كان يعلّم علانية في الهيكل بكل سلطان، ولم يعترضه أحد من القادة. فبدأوا يتساءلون: "أَلَعَلَّ الرُّؤَسَاءَ عَرَفُوا يَقِينًا أَنَّ هذَا هُوَ الْمَسِيحُ حَقًّا؟" (يو 7: 26).
- هذا التساؤل يعكس صراعًا داخليًا بين معرفتهم بخطط القادة وبين الواقع أمام أعينهم، حيث يرون المسيح يعلّم بحرية، ويجتذب الناس بكلماته.

- القديس كيرلس السكندري يوضح أن قرب سكان أورشليم من القادة الدينيين جعلهم يعرفون نواياهم الشريرة، لكنهم صُدموا من تعاليم المسيح الجذابة وسلطانه، الذي أربكهم أكثر.
- لكن التناقض الأكبر الذي وقعت فيه عقولهم يعود إلى تقليد يهودي شائع آنذاك: كانوا يعتقدون أن المسيح حين يظهر، سيأتي فجأة إلى الهيكل دون أن يُعرف له أصل، بناءً على فهم خاطئ لنبوات مثل: "وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ" (ملا3: 1). لكنهم كانوا يعرفون أن يسوع من الناصرة، ومن عائلة يعرفونها، مما دفعهم للشك فيه.
- يعلّق القديس أغسطينوس على هذا بقوله إن قوة المسيح الظاهرة وحفظ الآب له من أن يُقبض عليه كانت كافية لإقناعهم، لكنهم ظلّوا متمسكين بتفسيرات حرفية ضيقة للنصوص، فلم يدركوا أصله الإلهي الأزلي.
- وفي العمق، كانوا يجهلون نبوات أخرى واضحة، مثل: "أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ أَفْرَاتَةَ.. فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ" (مي5: 2)، التي تؤكد أن المسيح يُولد في بيت لحم. وبدلًا من ربط هذا بالنسب المسجّل للمسيح، ظلّوا حبيسي فهمهم المغلوط.
- القديس يوحنا ذهبي الفم يشرح أن الحيرة عند اليهود ناتجة عن انقسام الرؤساء أنفسهم في تفسير النبوات: هل يأتي من بيت لحم (مي5: 2) أم من برج القطيع (مي4: 8)؟. لكن المشكلة الأعمق كانت في قلوبهم، إذ رفضوا الحق بسبب غضبهم وأحكامهم الجائرة، لا بسبب نقص الأدلة.

28 فَنَادَى يَسُوعُ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ قَائِلًا: «تَعْرِفُونَنِي وَتَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا، وَمِنْ نَفْسِي لَمْ آتِ، بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ، الَّذِي أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ.

29 أَنَا أَعْرِفُهُ لأَنِّي مِنْهُ، وَهُوَ أَرْسَلَنِي».

- رد المسيح بصوت عال في الهيكل، معلنًا الحق بجهر ووضوح، لكي يسمع الجميع - بما فيهم الرؤساء - الدعوة إلى معرفته والإيمان به.
- يبدأ بتأكيد ما يعرفونه ظاهريًا عنه:"تَعْرِفُونَنِي وَتَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا"،أي إنهم يعرفون أنه من الناصرة وينتمي لعائلة بشرية معروفة. لكن المسيح يكشف أن معرفتهم سطحية وقاصرة، لأنها تجهل حقيقة ميلاده المعجزي في بيت لحم (مي5: 2) وكونه مولودًا من عذراء (مت1: 23)، والأهم من ذلك: أصله الإلهي.
- القديس أغسطينوس يؤكد أن المسيح يجمع في كيانه بين طبيعته البشرية المعروفة وبين لاهوته كمرسل من الآب، ويضيف أن معرفة الآب لا يمكن أن تُنال إلا من خلال الابن، كما قال الرب لاحقًا: "من رآني فقد رأى الآب" (يو 14: 9).
- المسيح يوضح:"وَمِنْ نَفْسِي لَمْ آتِ، بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ، الَّذِي أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ".
- في هذا القول، يردّ على ظنهم بأنه مجرد إنسان يسعى لمجد شخصي، ويعلن أنه مرسل من الآب، متحد به في الجوهر، ويعمل بحسب مشيئته لخلاص العالم (يو 10: 30).

- يشرح القديس كيرلس السكندري أن معرفة المسيح للآب تفوق الإدراك البشري، إذ هو "نور من نور"، يعرف الآب معرفة الابن الوحيد الجنس، لا كمجرد نبي أو معلم.
- يتابع المسيح ليقول:"أَنَا أَعْرِفُهُ لأَنِّي مِنْهُ، وَهُوَ أَرْسَلَنِي"، فهو لا يعرف الآب كالمعلمين أو الأنبياء، بل لأنه مولود منه أزليًا، وهذه المعرفة الإلهية تخص طبيعته الواحدة مع الآب.
- القديس أمبروسيوس يوضح أن كلمات المسيح ليست بشرية بل إلهية، لأنه لا يتكلم من ذاته كإنسان مستقل، بل كمرسل من الآب، يعلن مشيئته بكمال واتحاد.
- هذه الكلمات الصريحة أثارت غضب الرؤساء، ليس فقط لأنها تفضح جهلهم بالآب، بل لأنها أيضًا إعلان واضح للاهوت المسيح، ما اعتبروه تجديفًا

(2) بين الرفض والقبول: محاولة القبض على يسوع وإيمان من الشعب

30 فَطَلَبُوا أَنْ يُمْسِكُوهُ، وَلَمْ يُلْقِ أَحَدٌ يَدًا عَلَيْهِ، لأَنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ جَاءَتْ بَعْدُ.

- استفز كلام المسيح الرؤساء (الكهنة والفريسيين) عندما أعلن أنهم لا يعرفون الآب، بينما هو "منه" ومرسل منه. هذا الإعلان، الذي أكد لاهوته ووحدته مع الآب، اعتُبر تجديفًا في نظرهم، إذ اعتبروا أنفسهم شعب الله المختار وحدهم. فقرروا القبض عليه لقتله، لكنهم لم يستطيعوا لأن "ساعته لم تكن قد جاءت بعد"، أي أن العناية الإلهية حفظته ليكمل رسالته حسب التدبير الإلهي (غلا4: 4).
- هذا يبرز سلطان المسيح اللاهوتي، إذ هو "يضع ذاته ويقيمها" بإرادته (يو10: 18)، وليس خاضعًا لمصير أو قدر.
- يعلمنا هذا درسًا روحيًا: مهما حاول الأشرار المساس بأبناء الله، فإن الله "ضابط الكل" يحميهم وفق مشيئته، مما يمنحنا طمأنينة وثقة في عنايته المُحبة.
- يُعلّق القديس كيرلس السكندري أن توبيخ المسيح كشف عناد الرؤساء ورفضهم للحق، لكنهم عجزوا عن تنفيذ شرهم لأن قوة إلهية منعتهم، حتى يتم التدبير الإلهي في الوقت المحدد.
- يؤكد القديس أغسطينوس هذا المعنى، موضحًا أن "ساعته" لا تشير إلى قدر أو مصير محتوم، بل إلى اختيار حر من المسيح، كما اختار هو وقت ميلاده، يختار أيضًا وقت آلامه، مما يُعلن سيادته على الزمن.

31 فَآمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنَ الْجَمْعِ، وَقَالُوا: «أَلَعَلَّ الْمَسِيحَ مَتَى جَاءَ يَعْمَلُ آيَاتٍ أَكْثَرَ مِنْ هذِهِ الَّتِي عَمِلَهَا هذَا؟»

- على عكس الرؤساء المتكبرين، الذين أعماهم الحسد وأغلقت قلوبهم عن رؤية الحق، آمن كثيرون من الجموع البسطاء بالمسيح، إذ تأثّروا بمعجزاته وتعاليمه الإلهية، وخاصة معجزة شفاء مريض بيت حسدا (يو5).
- عبّر هؤلاء المؤمنون عن إيمانهم بصدق من خلال سؤال استنكاري موجه ضمنًا للرؤساء: "أَلَعَلَّ الْمَسِيحَ مَتَى جَاءَ يَعْمَلُ آيَاتٍ أَكْثَرَ مِنْ هذِهِ الَّتِي عَمِلَهَا هذَا؟" في إشارة إلى أن آيات المسيح كانت كافية ودالة على كونه المسيا المنتظر.
- يشرح القديس يوحنا ذهبي الفم أن الناس الذين يميلون إلى الأمور الجسدية يُقنعهم البرهان العملي للمعجزات أكثر من عمق التعاليم، لذلك رأوا في أعمال المسيح برهانًا لا يُقاوم على أنه مرسل من الله.
- القديس أغسطينوس يوضح أن البسطاء الذين أدركوا مرضهم الروحي، سرعان ما تعرفوا على الطبيب الإلهي من خلال قدرته الشافية، فآمنوا به بإخلاص.
- وهكذا، بينما اشتدت مقاومة الرؤساء للمسيح، كان الحق يزداد وضوحًا أمام القلوب المنفتحة. لقد كشف هذا الانقسام بين من آمنوا ومن رفضوا، أن المسيح هو بالفعل "موضوع سقوط وقيام لكثيرين" كما أنبأ سمعان الشيخ (لو2: 34).

32 سَمِعَ الْفَرِّيسِيُّونَ الْجَمْعَ يَتَنَاجَوْنَ بِهذَا مِنْ نَحْوِهِ، فَأَرْسَلَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ خُدَّامًا لِيُمْسِكُوهُ.

- عندما سمع الفريسيون ورؤساء الكهنة - وهم أعضاء السنهدريم، المجلس الأعلى لليهود المكوّن من 70 شيخًا، يضم الكتبة والصدوقيين - همسات الجموع التي بدأت تؤمن بأن يسوع هو المسيح المنتظر بسبب آياته العظيمة، شعروا بالتهديد الشديد على سلطتهم الدينية والسياسية.
- هذا الإيمان الشعبي المتنامي أثار خوفهم من فقدان السيطرة، لا سيما في ظل وجود الحجاج الكثر خلال عيد المظال.
- لذلك، لجأوا إلى إجراء رسمي: أرسلوا خدّام الهيكل (وهم ضباط يعملون بسلطة دينية لتنفيذ أوامر المجلس) للقبض على يسوع.
- هذه المرة لم تكن محاولة فردية مثل سابقتها (يو 7: 30)، بل تحركًا مؤسسيًا من السنهدريم، الذي كان يتمتع بصلاحيات دينية ومدنية تحت الحكم الروماني.
- يوضح القديس كيرلس السكندري أن رؤساء اليهود لم يقودوا الشعب نحو النور الإلهي، بل انقادوا وراء حسدهم وأهوائهم، متجاهلين وصايا الناموس، وساعين لإسكات صوت الحق الإلهي الذي كشف رياءهم.
- هكذا، لم يكن هدفهم الدفاع عن الناموس، بل الحفاظ على مصالحهم وسلطتهم، حتى ولو كان الثمن مقاومة المسيا الحقيقي، الذي يشهد له الآب بالأعمال والعجائب.

33 فَقَـــالَ لَهُـــمْ يَسُوعُ: «أَنَـا مَعَكُمْ زَمَانًـا يَسِيرًا بَعْدُ، ثُمَّ أَمْضِي إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي.

34 سَتَطْلُبُونَنِي وَلاَ تَجِـدُونَنِي، وَحَيْـثُ أَكُونُ أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا».

- رد المسيح على خطط الرؤساء لم يكن موجهًا إلى خدام الهيكل الذين أُرسلوا للقبض عليه، بل تحدّث علنًا إلى الجموع، مُظهرًا وعيه الكامل بمؤامرات رؤساء اليهود، ومعلنًا في الوقت ذاته رسالة تحذيرية تحمل بُعدًا لاهوتيًا عميقًا.
- أوضح أن الزمن المتبقي له على الأرض قصير - نحو ستة أشهر فقط، من عيد المظال إلى عيد الفصح - حيث سيتمم عمل الفداء بالصليب، ثم يقوم من الأموات، ويصعد إلى الآب، حيث يكون في مجده الأبدي "في حضن الآب" (يو1: 18).
- قال: "سَتَطْلُبُونَنِي وَلاَ تَجِدُونَنِي"، وهو تعبير يحمل نغمة الحزن والتحذير في آنٍ واحد، إذ يشير إلى ندم الرافضين له لاحقًا، عندما يدركون حقيقته بعد قيامته وصعوده، ولكن بعد فوات الأوان، لأن عدم إيمانهم سيمنعهم من الوصول إليه (لو17: 22).

- قوله: "حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا" لا يشير إلى موقع جغرافي، بل إلى مجده السماوي الأبدي، حيث لا يدخل إلا من آمن به وسار خلفه في الطاعة. فبينما يُحرم الرؤساء والرافضون من هذا المجد بسبب عنادهم، سيأتي وقت يتبع فيه المؤمنون، أمثال التلاميذ، المسيح إلى المجد، كما قال له بطرس لاحقًا (يو13: 36).
- القديس كيرلس السكندري يشرح أن المسيح، كإله، لا يُمسّ بالموت أو الفساد، بل يصعد إلى الآب بسلطانه، تاركًا الأشرار يندبون ندمهم، دون أن يستطيعوا نوال الخلاص، لأنهم رفضوا النعمة حين كانت متاحة.
- يؤكد القديس أغسطينوس أن المسيح، حتى في وجوده الأرضي، كان دائمًا في حضن الآب (يو 3: 13)، ومن لا يؤمن به لا يمكنه أن يبلغ المجد الأبدي، لأن الطريق إلى الآب يمر عبر المسيح وحده (يو 14: 6).

35 فَقَالَ الْيَهُودُ فِيمَا بَيْنَهُمْ: «إِلَى أَيْنَ هذَا مُزْمِعٌ أَنْ يَذْهَبَ حَتَّى لاَ نَجِدَهُ نَحْنُ؟ أَلَعَلَّهُ مُزْمِعٌ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى شَتَاتِ الْيُونَانِيِّينَ وَيُعَلِّمَ الْيُونَانِيِّينَ؟

36 مَا هذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَ: سَتَطْلُبُونَنِي وَلاَ تَجِدُونَنِي، وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا؟»

- يتكرر في إنجيل يوحنا سوء فهم اليهود لكلام المسيح، ويتجلى ذلك بوضوح هنا. فحين قال لهم: "سَتَطْلُبُونَنِي وَلاَ تَجِدُونَنِي، وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا"، فهموا كلامه فهمًا ماديًا سطحيًا. ظنوا أنه ينوي مغادرة اليهودية ليكرز ليهود الشتات المنتشرين في بلاد اليونان، أو حتى للأمم الوثنيين، معتبرين ذلك علامة فشل في كرازته داخل إسرائيل.
- هذا التصور الساخر منهم لم يكن فقط خاطئًا، بل أظهر جهلهم الروحي العميق، إذ لم يدركوا أن المسيح لا يتحدث عن هجرة جغرافية، بل عن صعوده إلى الآب بعد إتمام عمل الفداء.
- كما أظهروا احتقارهم لفكرة التوجه إلى الأمم، معتبرينها خروجًا عن الناموس، بينما في الحقيقة، كان ذلك يتمم مشيئة الآب لخلاص جميع الشعوب.
- اللافت، أن اليهود، رغم سخريتهم، نطقوا بنبوة غير مقصودة، إذ إن الإنجيل بالفعل سينتقل لاحقًا إلى الأمم على يد التلاميذ والرسل (أع 9: 4)، وكان هذا امتدادًا لعمل المسيح.
- يرى القديس أغسطينوس أن عدم فهمهم لأصل المسيح الإلهي جعلهم يجهلون أنه كان في حضن الآب منذ الأزل، وأنه بعد صعوده، سيذهب إلى الأمم روحيًا من خلال تلاميذه، كما تنبّأ المزمور: "مِنْ سَمَاعِ الأُذُنِ يَسْمَعُونَ لِي. " (مز18: 44).

تطبيقات

- **معرفة المسيح معرفة شخصية**
  - ✓ خصص 10 دقائق يوميًا لدراسة صفات المسيح في الأناجيل، وليس فقط سماع اسمه أو قصصه من الآخرين.
  - ✓ اسأل نفسك أسبوعيًا: هل معرفتي بالمسيح تتعمق؟ أم ما زلت أعتمد على مفاهيم عامة موروثة؟
- **عدم تأجيل قرار الإيمان أو التوبة**
  - ✓ ابدأ هذا الأسبوع بتحديد أمر واحد تؤجله روحيًا (مثل التسامح، الصلاة، الاعتراف، الخدمة) والتزم بخطوة عملية فيه خلال 7 أيام.
  - ✓ سجّل تقدمك أو تأخرك في مفكرة روحية، حتى تراجع تجاوبك مع دعوة المسيح.
- **كسر النظرة الحصرية الضيقة ومحبة كل الناس**
  - ✓ في هذا الشهر، حدد شخصًا واحدًا مختلفًا عنك في الخلفية أو الفكر (دين، ثقافة، مستوى)، وابدأ محادثة ودّية أو فعل محبة نحوه.
  - ✓ قيِّم بعد أسبوعين: هل كبريائي تراجع؟ هل نظرتي للآخر اتسعت؟

رابعًا: المسيح ينبئ بصعوده وفاعلية الروح القدس (يو7: 37 – 43)

(1) أروع دعوة على الإطلاق

37 وَفِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ الْعَظِيمِ مِنَ الْعِيدِ وَقَفَ يَسُوعُ وَنَادَى قَائِلًا: «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ.

- في اليوم الأخير، العظيم من عيد المظال (اليوم الثامن)، حيث يُعتبر ك "سبت" (يوم راحة مقدس بلا عمل)، كان الشعب يحتفل بطقس رمزي مهيب: صب الماء من بركة سلوام على المذبح، بقيادة رئيس الكهنة، كذكرى للماء الذي أخرجه الله من الصخرة في البرية (عد20: 8–11).
- كان هذا الطقس يشير إلى الرجاء في بركات روحية ومادية من الله، خاصة عطية الروح القدس والمطر المبكر والمتأخر.
- في هذا السياق الرمزي العميق، وقف المسيح ونادى بصوت عالٍ، معلنًا أنه هو تحقيق هذا الرمز، الصخرة الحقيقية (1 كو10: 4)، ومصدر الماء الحي، لا مجرد طقس رمزي.
- قال: "إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ"، مشيرًا إلى أن العطش هنا عطش روحي، يعبر عن الحاجة العميقة للخلاص والشبع الإلهي.
- لم يربط المسيح العطية بالإجراءات أو الطقوس، بل دعا إلى الإيمان الشخصي به كمصدر الحياة.
- الفرق بين طقس العهد القديم والمسيح هو أن الطقس يقدم ماءً رمزيًا مؤقتًا، أما هو فيمنح "ماء حيًا" يشبع النفس إلى الأبد (رؤ22: 17).

- دعوة المسيح في اليوم الأخير من العيد كانت دعوة مفتوحة، لكنها غير قسرية؛ إذ قال: "إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ"، واضعًا شرط العطش الروحي والرغبة الحرة كأساس لنوال عطية الماء الحي. لم يُجبر أحدًا، بل نادى بحرية ليجتذب القلوب المشتاقة.
- القديس جيروم يوضح هذا المعنى بقوله إن دعوة المسيح ليست إجبارية، بل موجهة إلى من يرغب ويشتاق بحرية. فالله لا يفرض نعمته، بل يعرضها لمن يفتح قلبه طوعًا.
- القديس أمبروسيوس، يصف المسيح بأنه "النهر الصافي الخارج من عرش الله" كما في سفر الرؤيا (22: 1–2)، مشيرًا إلى أن المسيح يفيض بنعمة الروح القدس التي تروي العطاشى وتُحيي نفوسهم.
- يكمل القديس أغسطينوس عمق هذا المعنى، فيوضح أن العطش المقصود ليس عطش الجسد، بل هو عطش الحب الإلهي. فالقلب العطشان بالمحبة ينجذب إلى المسيح لا بحركة الأقدام، بل بشوق الروح، وهناك يجد الشبع الحقيقي والارتواء الأبدي.

38 مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ».

39 قَالَ هذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ، لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ.

- لم يكتفِ المسيح بدعوة العطاشي للارتواء منه، بل أعلن وعدًا أعظم: "مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ". هنا يربط بين الإيمان الحقيقي والامتلاء بالروح القدس، كما تنبأت الأسفار المقدسة (إش44: 3؛ يوئيل 2: 28).
- فالمؤمن لا يُروى فقط، بل يصير هو نفسه مصدر ريّ، يفيض من داخله "أنهار"، لا قطرة، من حياة روحية تتجاوز ذاته لتروي من حوله.
- عبارة "مِنْ بَطْنِهِ" تشير إلى الإنسان الداخلي، حيث يقيم ملكوت الله (لو17: 21)، أي القلب الممتلئ بالروح القدس، والذي يثمر ثمار الروح (غلا5: 22-23): محبة، فرح، سلام، طول أناة، وغيرها.
- هذا الامتلاء لا ينحصر في خبرة شخصية، بل يمتد ليبني الكنيسة ويخدم العالم، تمامًا كما تجلّى في حياة التلاميذ بعد حلول الروح القدس في يوم الخمسين (أعمال 2).
- يشرح الإنجيلي يوحنا أن هذا "الماء الحي" هو الروح القدس، الذي لم يُعطَ بعد بفيض، لأن المسيح لم يكن قد تمجد بعد. فتمجيده الحقيقي كان بالصليب، حيث أكمل الفداء، ثم بالقيامة والصعود، مهيئًا البشرية لقبول الروح القدس الساكن (كو1: 20). وهكذا، في يوم الخمسين، أُفيض الروح على الكنيسة، فامتلأ التلاميذ وتكلموا بلغات الأمم، دلالة على شمولية الخلاص.

- القديس كيرلس السكندري يشير إلى أن الروح القدس لا يُعطى للمؤمنين كموهبة جزئية، بل يسكن فيهم بالكامل، مانحًا حياة جديدة تفوق حتى ما ناله الأنبياء من استنارة.
- يضيف القديس يوحنا ذهبي الفم أن نعمة الروح لا تعرف جفافًا، بل تفاض كما أنهار كثيرة، وقد ظهرت قوتها في حكمة استفانوس وشجاعة وبلاغة بطرس.
- القديس أغسطينوس، يُظهر البعد الجواني لهذا الامتلاء، إذ يوحد الروح الكنيسة، ويجعل المؤمن يحيا لله، محبًا الكنيسة، وغريبًا عن العالم بمحبته السماوية.
- يشبّه القديس غريغوريوس النيسي المؤمن بالعروس في نشيد الأناشيد، إذ يصير بئرًا حيًا، يفيض بمياه الحياة الإلهية من نبع المسيح نفسه، مشابهًا له في العطاء والخدمة.

(2) اسئلة ٱلْجَمْع ورفض القادة اليهود

40 فَكَثِيرُونَ مِنَ الْجَمْعِ لَمَّا
سَمِعُوا هذَا الْكَلاَمَ قَالُوا: «هذَا
بِالْحَقِيقَةِ هُوَ النَّبِيُّ».
41 آخَرُونَ قَالُوا: «هذَا هُوَ
الْمَسِيحُ!» وَآخَرُونَ قَالُوا:
«أَلَعَلَّ الْمَسِيحَ مِنَ الْجَلِيلِ
يَأْتِي؟
42 أَلَمْ يَقُلِ الْكِتَابُ إِنَّهُ مِنْ
نَسْلِ دَاوُدَ، وَمِنْ بَيْتِ لَحْمٍ،
الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَ دَاوُدُ فِيهَا،
يَأْتِي الْمَسِيحُ؟»

- بعد دعوة المسيح العظيمة في اليوم الأخير من عيد المظال، والتي أعلن فيها نفسه مصدر الحياة والروح (يوحنا 7: 37-38)، لم يكن رد فعل الجموع موحدًا، بل ظهرت انقسامات واضحة بينهم، كاشفة أعماق قلوبهم وتفاوت استجابتهم للحق. يمكن تصنيف ردود الفعل إلى ثلاث مجموعات رئيسية:

- المجموعة الأولى رأت في يسوع "النبي" الذي تنبأ عنه موسى (تث18: 15). لكنهم فسّروا هذه النبوة بشكل مادي وسياسي، متوقعين نبيًا يقود ثورة ضد الاحتلال الروماني، لا مخلصًا من الخطية. وقد ساعد في هذا الفهم الخاطئ غياب الأنبياء منذ زمن، مما جعل ظهور شخصية بقوة المسيح يُثير توقعات دنيوية أكثر منها روحية. هذا يعكس سطحية في فهم مقاصد الله، وحصر النبوة في نطاق زمني وسياسي ضيق. القديس كيرلس السكندري يوضح أن الجموع لم يكونوا دقيقين في قراءتهم للكتاب، إذ ظنوا أن "النبي" الموعود مختلف عن "المسيح"، فوقعوا في الالتباس.
- المجموعة الثانية اعترفت بأن يسوع هو "المسيح" المنتظر، إذ لمسوا في كلماته وسلطانه ومعجزاته ما يفوق الطبيعة، وما يختلف عن تعليم الكتبة والفريسيين. كان إيمانهم بسيطًا لكنه صادق، اقتربوا من الحق وإن لم يدركوا بعد أن النبي والمسيح هما شخص واحد (يوحنا 1: 25). حتى التلاميذ، رغم إيمانهم، لم يدركوا هذا الاتحاد التام بين النبوات إلا بعد حلول الروح القدس في يوم الخمسين (أعمال 2)، الذي قادهم إلى الفهم الكامل لسر المسيح.
- المجموعة الثالثة رفضت يسوع كالمسيح رفضًا قاطعًا، مستندة إلى معلومات ناقصة. كانوا يعلمون أن النبوات أشارت إلى أن المسيح يأتي من نسل داود ومن بيت لحم (ميخا 5: 2؛ مزمور 132: 11)، لكنهم ظنوا أن يسوع من الناصرة في الجليل، فأنكروا عليه اللقب. لم يعلموا أو لم يطلبوا أن يعرفوا الحقيقة: أن يسوع وُلد فعلًا في بيت لحم (متى 2: 1-6) لكنه نشأ في الناصرة. جهلهم بالمعلومة، إلى جانب عنادهم الروحي، أعاقهم عن رؤية الحق المتجسد أمامهم.

- يقول القديس كيرلس السكندري إن الفريسيين والجموع سقطوا في سوء تقدير بسبب اعتمادهم على الظاهر، إذ شاع أن يسوع من الناصرة، فرفضوا أن يكون هو المسيح، متجاهلين النبوات التي تحققت فيه.
- هذا المشهد يُظهر بوضوح أن قبول المسيح لا يعتمد فقط على المعلومات أو الخلفية الدينية، بل على قلب منفتح ومستعد للطاعة والإيمان. الجموع التي اتكأت على مفاهيم بشرية أو معرفة ناقصة لم تصل إلى الحق، بينما البسطاء، رغم محدودية معرفتهم، انجذبوا لنور المسيح، لأن قلوبهم لم تكن مغلقة.

43 فَحَـــدَثَ انْشِــقَاقٌ فِــي الْجَمْعِ لِسَبَبِهِ.

- أدى حضور المسيح القوي وتعاليمه المملوءة سلطانًا إلى انقسام واضح بين الجموع.
- هذا الانقسام لم يكن سطحيًا، بل كاشفًا لعمق الاستجابة القلبية تجاهه.
- البعض، وقد تأثروا بمعجزاته وتعاليمه التي لم يُرَ مثلها من قبل، انفتحوا للإيمان به، ورأوا فيه المسيح المنتظر. آخرون، خاضعون لتأثير الفريسيين ومكبّلين بكبريائهم أو تصوراتهم المسبقة، أرادوا القبض عليه، رافضين سلطانه، لا عن اقتناع بل عن حسد وخوف على نفوذهم.
- يوضح هذا المشهد أن حضور المسيح لا يترك أحدًا محايدًا: فإما أن يُستقبل بالإيمان والاتضاع، أو يُرفض بالعناد والكبرياء. لكن في الحالتين، هو يكشف القلوب ويُعلن مصير كل إنسان بحسب استجابته له.

تطبيقات

- **الارتواء الروحي اليومي من كلمة الله**
  - ✓ خصّص 15 دقيقة يوميًا لقراءة وتأمل في الإنجيل، باعتباره النبع اليومي الذي يشبع عطشك الروحي.
  - ✓ سجل التواريخ والأجزاء المقروءة في دفتر روحي أو تطبيق، وراقب تطور شعورك الداخلي بالسلام أو التغيير الروحي خلال أسبوعين.
- **تمييز الحق بالإيمان لا بالمظاهر**
  - ✓ درّب نفسك على التوقف عند أحكام مسبقة (مرة واحدة على الأقل يوميًا)، سواء تجاه أشخاص أو مواقف، وحاول إعادة النظر فيها بناءً على المحبة والمعرفة لا على الانطباع الأول.
  - ✓ دوّن في نهاية كل يوم موقفًا واحدًا راجعت فيه حكمك، وانظر بعد أسبوع إن كان ذلك قلل من تسرّعك في الأحكام أو زاد من تعاطفك.
- **الحديث عن السيد المسيح**
  - ✓ في محيطك العائلي أو المهني، تحدّث مرة واحدة على الأقل أسبوعيًا عن السيد المسيح أو عن أحد تعاليمه، رغم احتمالية الرفض أو النقاش.
  - ✓ لاحظ كم مرة شاركت، وردود الفعل، وكيف أثر ذلك على إيمانك أو على الآخرين.

خامسًا: رؤساء اليهود يرفضون المسيح (يو7: 44 – 53)

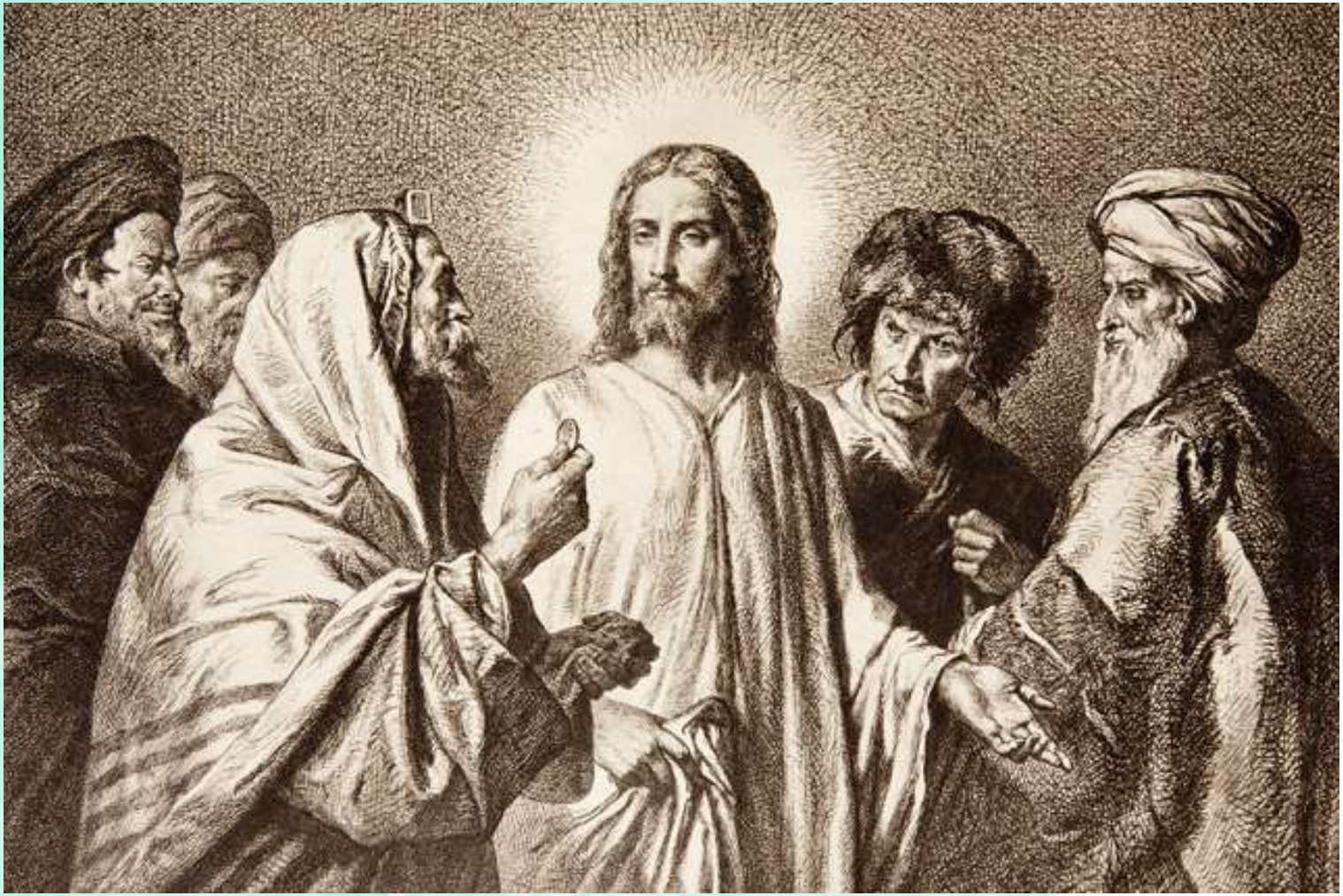

(1) فشل محاولة القبض على يسوع

44 وَكَانَ قَوْمٌ مِنْهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُمْسِكُوهُ، وَلكِنْ لَمْ يُلْقِ أَحَدٌ عَلَيْهِ الأَيَادِيَ.

- عاد خدام الهيكل – الذين أُرسلوا رسميًا من قبل رؤساء الكهنة والفريسيين للقبض على يسوع (يو7: 32) – دون أن يُمسكوا به، مما أثار دهشة الرؤساء وسخطهم (يو7: 45-46).
- هذه العودة خالية الأيدي لم تكن نتيجة تردد بشري فقط، بل كانت تعبيرًا واضحًا عن سلطان المسيح الإلهي، إذ "لم تكن ساعته قد جاءت بعد" (يو7: 30). العناية الإلهية هي التي حفظت ابن الله في توقيت دقيق ينسجم مع خطة الفداء.
- الخدام، مع أنهم كانوا يمتلكون السلطة القانونية لتنفيذ أمر القبض، إلا أن قوة غير منظورة وقفت أمامهم، فأُبطل قصد الرؤساء. هذا يبرز أن المسيح لم يكن أبدًا ضحية لخطط بشرية، بل هو سيد الأزمنة، يضع نفسه حين يشاء (يو10: 18).
- القديس كيرلس السكندري يوضح أن امتناع الخدام عن القبض على يسوع لم يكن نتيجة تردد بشري أو احترام خارجي، بل بسبب قوته الإلهية التي أوقفتهم. لقد وقف المسيح في وسط الهيكل، يُعلّم بسلطان، وهم أمامه عاجزون، ليس لأنهم خافوا، بل لأنهم واجهوا من لا يمكن مقاومته إلا بإيمان واتضاع.
- هذا الموقف يفتح عيوننا على حقيقة جوهرية: أن المسيح لا يُمسك إلا بإذنه، ولا يُصلب إلا حين يسلّم نفسه. سلطانه ليس مستترًا، بل ظاهر في كل لحظة، حتى وسط الرفض والمؤامرة.

45 فَجَاءَ الْخُدَّامُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ. فَقَالَ هؤُلاَءِ لَهُمْ: «لِمَاذَا لَمْ تَأْتُوا بِهِ؟»

46 أَجَابَ الْخُدَّامُ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ إِنْسَانٌ هكَذَا مِثْلَ هذَا الإِنْسَانِ!»

- عندما عاد خدام الهيكل إلى السنهدريم دون أن يُلقوا القبض على يسوع، واجهوا استياءً شديدًا من رؤساء الكهنة والفريسيين الذين أرسلوهم.
- غير أن الخدام لم يعودوا بأيدٍ فارغة فقط، بل عادوا بشهادة مذهلة: "لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ إِنْسَانٌ هكَذَا مِثْلَ هذَا الإِنْسَانِ!".
- هذه الكلمات لم تكن مجرد انبهار بلاغي، بل تعبير عن إدراك داخلي لسلطان فريد، ليس من الأرض بل من السماء. فهؤلاء الرجال لم يُدهشوا بمعجزة، بل بكلمة. لقد تأثروا بكلام المسيح الذي اخترق قلوبهم دون سيف، بقوة الحق والنعمة، في وقت كان فيه الرؤساء يخططون للمكر والقبض.
- شهادتهم، التي صدحت بها قلوبهم قبل ألسنتهم، وضعت رؤساءهم في موقف محرج، إذ كشفت فشلهم في كبح تأثير المسيح على الشعب. لم يستطيعوا إنكار جاذبية الكلمة، لكن كبرياءهم الديني حال دون الإيمان.
- أما الخدام، فمع أنهم لم يعلنوا إيمانًا صريحًا خوفًا من الرؤساء، إلا أن كلماتهم حملت بوضوح إدراكًا ضمنيًا لألوهية المسيح.

- القديس كيرلس السكندري يرى في شهادة الخدام اعترافًا بألوهية المسيح، لأن كلمته تفوق الطبيعة البشرية، وتخص الله وحده. لم يكن كلام يسوع مجرد تعليم، بل وحي حيّ يتفجّر من منبع لاهوته.
- القديس يوحنا ذهبي الفم يلاحظ أن الخدام لم يُقتنعهم برهان مادي، بل أُسروا بالكلمة وحدها، على عكس الرؤساء الذين رفضوا حتى الاستماع. شهادتهم في بساطتها تُدين قساوة قلوب من كان يجب أن يكونوا أول المؤمنين.
- هذا الحدث يعلّمنا أن سلطان كلمة المسيح قادر أن يُحدث تغييرًا حتى في وسط العداء، وأن الإيمان لا يحتاج دائمًا إلى آيات، بل إلى قلب منصت، متضع، ومستعد أن يُدهَش بكلمة الحق.

47 فَأَجَابَهُمُ الْفَرِّيسِيُّونَ: «أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا قَدْ ضَلَلْتُمْ؟

48 أَلَعَلَّ أَحَدًا مِنَ الرُّؤَسَاءِ أَوْ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ آمَنَ بِهِ؟

49 وَلكِنَّ هذَا الشَّعْبَ الَّذِي لاَ يَفْهَمُ النَّامُوسَ هُوَ مَلْعُونٌ».

- عندما نطق خدام الهيكل بشهادتهم المؤثرة عن يسوع، لم يجد الفريسيون ردًا سوى السخرية والغضب. "أَلَعَلَّ أَحَدًا مِنَ الرُّؤَسَاءِ أَوْ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ آمَنَ بِهِ؟" - سؤال تهكمي يكشف منطقهم السطحي، إذ جعلوا من عدم إيمانهم الشخصي معيارًا للحق، وكأن الحقيقة لا تُقاس إلا بموافقة القادة، لا بنور الكلمة.
- أما الشعب، الذي بدأ يؤمن ببساطة، فقد وُصف بعبارة مهينة: "هذَا الشَّعْبَ الَّذِي لاَ يَفْهَمُ النَّامُوسَ هُوَ مَلْعُونٌ". لم يرَ الفريسيون في الجموع قلوبًا تبحث عن الحق، بل كتلة من الجهلاء المستحقين اللعنة، لأنهم لا يتبعون تفسير الناموس بحسب تقاليدهم.
- هذا الرد يكشف عنجهية الفريسيين، الذين بدلًا من أن يعلّموا الشعب ويقودوه إلى الله، احتقروه وسخروا من عطشه الروحي. لقد أظهروا فكرًا نخبويًا قاسيًا، حيث فضلوا الكبرياء الديني على التوبة، والسيطرة على النفوس على قيادتها للخلاص.

- القديس كيرلس السكندري يصف هذا المشهد بأنه كشف لخفة عقول الفريسيين، الذين وإن ظنوا أنفسهم حكماء في الناموس، فإنهم سرعان ما لعنوا الشعب بدلًا من خدمته، متجاهلين دورهم كمعلمين ومسؤولين عن إرشاده.
- القديس يوحنا ذهبي الفم يرى أن إيمان الشعب بالمسيح كان علامة على التزامهم الحقيقي بالشريعة، بينما الفريسيون، برفضهم الكلمة المتجسدة، أظهروا أنفسهم كأعداء للحق، وبالتالي هم الذين سقطوا تحت اللعنة الحقيقية.
- في هذا المشهد نرى المفارقة المؤلمة: الشعب "الملعون" عند الفريسيين كان في الحقيقة أقرب إلى الملكوت، بينما الذين جلسوا على كرسي موسى رفضوا من أتى ليكمل الناموس، فكانوا "قادة عميان" (مت23: 16).

(2) ردة الفعل على موقف نيقوديموس البسيط نحو يسوع

50 قَالَ لَهُمْ نِيقُودِيمُوسُ، الَّذِي جَاءَ إِلَيْهِ لَيْلًا، وَهُوَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ:

51 «أَلَعَلَّ نَامُوسَنَا يَدِينُ إِنْسَانًا لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ أَوَّلًا وَيَعْرِفْ مَاذَا فَعَلَ؟»

- في خضم الغضب والاستهزاء من الفريسيين، ظهر صوت هادئ يعترض بحذر: نيقوديموس، عضو السنهدريم، الذي سبق أن جاء إلى يسوع ليلًا مدفوعًا بعطش داخلي (يو3: 1–2).
- لم يجرؤ على إعلان إيمانه صراحة، لكنه استند إلى الناموس نفسه، الذي يفترض أن الفريسيين حماة له، ليُبكّت ضمائرهم: "أَلَعَلَّ نَامُوسَنَا يَدِينُ إِنْسَانًا لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ أَوَّلًا وَيَعْرِفْ مَاذَا فَعَلَ؟".
- بذلك يُذكّرهم نيقوديموس بمبادئ العدالة التي أوصى بها الله في الناموس (خر23: 1؛ تث19: 15)، والتي تمنع الحكم على إنسان دون استماع وشهادة عادلة.
- لم يدافع عن يسوع بشكل مباشر، بل اختار مدخلاً قانونيًا محايدًا، محاولًا تخفيف التوتر دون تعريض نفسه لهجوم صريح.
- هذا الاعتراض، رغم بساطته، كان شاهدًا للحق في وسط ظلمة النفاق، ويكشف عن ضمير لا زال يتحرك. لم يكن دفاع نيقوديموس مجرد كلمات قانونية، بل تعبيرًا عن إيمان داخلي متردّد، بدأ ينمو منذ لقائه بالمسيح، وتطوّر تدريجيًا ليظهر علنًا لاحقًا في دفن المسيح مع يوسف الرامي (يو19: 39).

- القديس يوحنا ذهبي الفم يرى أن نيقوديموس فضح رياء الفريسيين، لأنهم تجاوزوا الشريعة التي يتفاخرون بها، حين سعوا لإدانة إنسان بريء بلا استماع.
- القديس كيرلس السكندري يلاحظ أن نيقوديموس كان مضطربًا من قسوة الرؤساء ولعنهم للشعب، فردّ بكلمات موزونة، مستشهدًا بالناموس، معبّرًا عن اعتراضه دون التصريح بإيمانه الكامل.
- هذا المشهد يذكرنا بأن الله يستخدم شهودًا أمناء حتى من داخل منظومات الفساد، ليضيئوا ببصيرة الروح، تمامًا كما فعل مع دانيال في بلاط نبوخذنصر، أو يوسف في بيت فرعون. فنيقوديموس هو بذرة إيمان تنمو بصمت لكنها حقيقية، تثمر لاحقًا في ساعة الصليب، حيث يظهر إيمانه في لحظة تخلى فيها الجميع.

52 أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: «أَلَعَلَّكَ أَنْتَ أَيْضًا مِنَ الْجَلِيلِ؟ فَتِّشْ وَانْظُرْ! إِنَّهُ لَمْ يَقُمْ نَبِيٌّ مِنَ الْجَلِيلِ».

- بدلًا من مناقشة نيقوديموس على أساس قانوني، ردّ الفريسيون بسخرية جارحة، قائلين له بتهكم: "أَلَعَلَّكَ أَنْتَ أَيْضًا مِنَ الْجَلِيلِ؟ فَتِّشْ وَانْظُرْ! إِنَّهُ لَمْ يَقُمْ نَبِيٌّ مِنَ الْجَلِيلِ!".
- يتجلى في هذا الرد كبر القلب وفقر الحجة. فعوض أن يناقشوا الاعتراض بالعقل والمنطق، لجأوا إلى الهجوم الشخصي والسخرية، مستغلين التحقير الثقافي للجليل، التي اعتُبرت منطقة دونية روحيًا بسبب قربها من الأمم واختلاطها بهم.
- ادّعوا أن الجليل لم يُخرج نبيًا قط، متجاهلين حقائق الكتاب، إذ خرج من هناك أنبياء عظماء مثل:

أنبياء من الجليل

- يونان من جت حافر في زبولون (2 مل 14: 25).
- إيليا التشبي (1 مل 17: 1)، الذي يُعتقد أنه من منطقة شمالية.
- أليشع من آبل محولة، القريبة من وادي الأردن في الشمال (1 مل 19: 16).
- ناحوم الألقوشي، وغالبًا من الجليل.
- حنة النبية، التي تنتمي إلى سبط أشير، أحد أسباط الشمال (لوقا 2: 36).

- كلامهم لم يكن فقط تهجّمًا على نيقوديموس، بل إعلانًا عن جهلهم بالكتاب المقدس، وتحيزهم الأعمى ضد يسوع. لو فتّشوا حقًا، لعلموا أن المسيح وُلد في بيت لحم، لا في الناصرة فقط، وأنه يتمم نبوات واضحة عن المخلص الآتي من نسل داود.
- القديس كيرلس السكندري يعلّق بأن ادعاءهم باطل، وكان الأجدر بهم التحقق من ميلاد المسيح في بيت لحم بدلًا من رفضه بناءً على انطباعات سطحية.
- القديس يوحنا ذهبي الفم يشير إلى التناقض الساخر في قولهم: "فتّش وانظر"، إذ اتهموا نيقوديموس بالجهل، بينما هم أنفسهم أخطأوا في معرفة الكتاب.
- هكذا، رفضوا النور ليبقوا في ظلمة الجهل والكبرياء، بينما أُعطي نيقوديموس نعمة أن يسير خطوات نحو الإيمان الحق.
- هذا المشهد يلخص صراع القلب المتواضع الباحث عن الحق، مع العقل المتعجرف المتشبث بالسلطة.

53 فَمَضَى كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى بَيْتِهِ.

- انتهت جلسة السنهدريم بالفشل دون إصدار حكم ضد يسوع، بسبب عدة عوامل تداخلت معًا:
  - ✓ شهادة خدام الهيكل المتأثرة بكلام المسيح.
  - ✓ إيمان بعض أفراد الشعب البسطاء.
  - ✓ مداخلة نيقوديموس، التي استندت إلى الناموس دون إعلان مباشر لإيمانه.
- هذا الإحباط الجماعي للفريسيين جعلهم يعودون إلى بيوتهم في حالة من الغيظ والعجز، إذ فشلوا في تحقيق هدفهم رغم نفوذهم الديني والسياسي.
- أما يسوع، فبقي محفوظًا بالعناية الإلهية، إذ "لم تكن ساعته قد جاءت بعد" (يو7: 30)، مما يؤكد أن توقيت الفداء محكوم بإرادة الله لا بمؤامرات الناس.

تطبيقات

- **الإصغاء قبل إصدار الأحكام**
  - ✓ التزم في محادثة واحدة يوميًا بإعطاء الطرف الآخر فرصة كاملة لشرح وجهة نظره قبل أن ترد أو تحكم.
  - ✓ في نهاية كل يوم، دوّن موقفًا تطبّق فيه هذا المبدأ، وراقب أثر ذلك على جودة الحوار أو علاقتك بالآخرين بعد أسبوع.
- **الشهادة للحق حتى وسط الأغلبية المعارضة**
  - ✓ اختر موقفًا تقف فيه مدافعًا عن مبدأ حق أو شخص مظلوم في مكان عملك أو أسرتك، حتى لو كنت الوحيد.
  - ✓ سجل الموقف، نوع المعارضة، وردّ فعلك، ثم لاحظ ما إذا زاد ذلك من ثباتك في مواقف مشابهة.
- **مراجعة معرفتي الكتابية لتصحيح مفاهيمي**
  - ✓ خصص مرة أسبوعيًا للتحقق من صحة معتقد روحي أو فكرة دينية لديك بمراجعة الآيات والشرح الآبائي لها.
  - ✓ بعد كل مراجعة، دوّن ما تعلمته، وهل صححت فهمًا سابقًا؟ تابع مدى تحسّن دقتك الكتابية على مدار الشهر.

ملخص يوحنا 7

ملخص يوحنا 7

1. **عيد المظال:** هو الاحتفال اليهودي الذي تجري فيه طقوس صب الماء تذكّر بالخروج، والمسيح أعلن نفسه في هذا اليوم كـ"الماء الحي" الذي يروي الروح.
2. **تعليم المسيح في الهيكل:** ألقى تعاليم جديدة أمام الشعب، معلنًا عن نفسه ابن الله، مما أثار انقسامًا بين المؤمنين والمعارضين.
3. **الوحدة بين المسيح والآب:** أكد المسيح على علاقته الإلهية الخاصة بالآب، وهو ما رفضه قادة اليهود.
4. **السلطة الإلهية للمسيح:** أظهر المسيح سلطته بحماية نفسه من القبض عليه لأن ساعته لم تأتِ بعد.
5. **انقسام الشعب:** آراء الناس حول المسيح تباينت بين الإيمان والرفض، وهذا الانقسام هو تحقيق لوعده "قيام كثيرين وسقوط كثيرين".
6. **الماء الحي والروح القدس:** المسيح هو مصدر الحياة الروحية (الماء الحي)، والروح القدس يُعطى بعد تمجيده (الصليب والقيامة).
7. **شهادة خدام الهيكل:** رغم تعليمهم له، لم يستطيعوا القبض عليه وأقروا بسلطان كلامه.
8. **رفض قادة الدين:** القادة دنسوا قلوبهم بالغضب والاستهزاء، ورفضوا الاعتراف بحقيقة المسيح.
9. **دفاع نيقوديموس:** استند إلى الناموس في الدفاع عن المسيح، مؤكدًا ضرورة الاستماع للمتهم قبل إدانته.
10. **الجدل حول أصل المسيح:** رفض البعض هويته بسبب جهلهم بحقيقة ميلاده ونشأته، مما يعكس جهلهم بالنبوات.